شعراء الشام في القرن الثالث

— ٣ —

ديك الجن

أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان ابن زيد بن تميم ، وديك الجن لقب غلب عليه [١] وجدُّه تميم من أهل مؤتة وهو أول من أسلم من اجداده على يد حبيب بن مسلمة الفهري أخذ محارباً ، وحبيب بن عبد الله ابن رغبان المذكور في هذا النسب كان كاتباً في أيام الخليفة المنصور وكان ينقلد الاعطاء واليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام وهو مولى حبيب بن مسلمة الفهري .

ولد ديك الجن في حمص سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعاً وسبعين سنة

---

(١) لم اجد من ذكر السبب في تلقيبه بديك الجن وقد زعم الدميري نقلاً عن القزويني ان « ديك الجن دويبة توجد في البساتين اذا أُلقيت في خمر عتيق وتركت في محارة ودفنت وسط الدار لا يرى فيها شيء من الارضة » ولعله لقب بديك الجن لكثرة خروجه الى البساتين ومعاقرته الخمرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يقول « مالنعرب علينا فضل جمعنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به ولم نجد الله فضّلهم علينا إذ جمعنا الدين » وكان يتشيع تشيعاً حسناً وله مراثٍ كثيرة في الحسين كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح به . قال صاحب الأغاني : كان خطيب اهل حمص يصلي على النبي على المنبر ثلاث مرات في خطبته وكان اهل حمص كلهم من اليمن لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة ابيات فتعصبوا على الإمام وعزلوه فقال ديك الجن :

سمعوا الصلاة على النبي توالى فتنكّروا شيعاً وقالوا لا لا
ثم استمرّ على الصلاة إمامهم فتحزّبوا ورمى الرجال رجالا
يا آل حمص توقعوا من عارها خزياً يحل عليكمُ ووبالا
شانت وجوهكمو وجوهاً طالما رغمت معاطسها وساءت حالا

ولعله احد الشعوبيين الذين اتخذوا التشيع وسيلةً للنيل من العرب ، لا مذهباً يرجع الى عقيدة وإيمان ، اذ كيف نتفق سلامة إيمانه مع قوله :

أأترك لذة الصهباء نقداً لما وعدوه من لبنٍ وخمرِ
حياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ حديث خرافةٍ يا أمّ عمرو

سكن ديك الجن حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدياً لأحد الا ما كان من صحبته لاحمد وجعفر ابني علي الهاشميين وهي الى الصداقة أقرب منها الى الاستجداء ، وكان خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه وا كتسب بشعره من احمد وعلي الهاشميين :

قال :

تمتع من الدنيا فانك فانٍ وإنك في ايدي الحوادث عانٍ
ولا تنظرن اليوم لهواً الى غدٍ ومن لغدٍ من حادثٍ بامانِ
فإني رأيت الدهر يُسرع بالفتى ويَنقله حالين تختلفانِ
فاما الذي يمضي فأحلام نائمٍ وأما الذي يبقى له فاماني

وكان يجتمع عنده اخدان وأهل الخلاعة وكان له ابن عم يكنى ابا الطيب يعظه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وينهاه عما يفعله ويحول بينه وبين ما يؤثر من لذاته وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمُجّان وأهل الخلاعة فيستخفّ بهم وبه فلما كثر ذلك على ديك الجن قال:

يا عجباً من ابي الخبيث ومن ... سروجه في البكائر الدثره
يحمل رأساً تنبو المعاول عن ... صفحته والجلامد الوعره
كم طربات افسدتهن وكم ... صفوة عيشٍ غادرتها كدره
وكم إذا ما رأوك يا ملك المو — ت لهم أنا مل خصره
وكم لهم دعوة عليك وكم ... قذفة أمٍّ شنعاء مشتهره
كريمةٌ لؤمك استخف بها ... دنالها بالمثالب الاشره
سبحان من يمسك السماء على الار — ض وفيها اخلاقك العذره

وكان قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الامر حتى غلبت عليه وذهبت به فلما اشتهر بها دعاها الا الاسلام ليتزوج بها فاجابته وكان اسمها وردا ثم افترى ابو الطيب على هذه الجارية واذاع انها تهوى غلاماً لديك الجن واحتال عليه وأغراه بقتلها فقتلها وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ ... والى ذاك الوصال وصلتُ
فالذي مني اشتملت عليه ... ألعارٍ ما قد عليه اشتملت
قال ذو الجهل قد حلمت ولا ... أعلم أني حلمت حتى جهلت
لائم لي بجهله ولما ذا ... انا وحدي أحببت ثم قتلت
سوف آسى طول الحياة وابكي — ك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال فيها ايضاً:

لك نفس مؤاتيه ... والمنايا معاديه
أيها القلب لاتعد ... لهوى البيض ثانيه
ليس برقٌ يكون أخـ — ـلب من برق غانيه
خنت سرّي ولم أخنـ — ـكِ فموتي علانيه

وقال ايضاً:

قل لمن كان وجهه كضياء الشـ — ـمس في حسنه وبدرٍ منيرِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت زين الأحياء إذ كنت فيهم ولقد صرت زين أهل القبور
بأبي انت في الحياة وفي المو — ت وتحت الثرى ويوم النشور
خنتني في المغيب والخون نكرٌ وذميمٌ في سالفات الدهور
فشفاني سيفي واسرع سيفي حز — التراقي قطعاً وحز النحور

ثم لما بلغه الخبر على حقيقته وصحته ندم ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعمُ من الطعام الا ما يقيمُ رمقه وقال في ندمه على قتلها :

ياطلعةً طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتيّ من شفتيها
حكّمت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى شيءٌ اعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن أبكي اذا سقط الغبار عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

لقد استنفدت هذه الواقعة شعره فنظم كثيراً من المراثي حتى صار من المعدودين في اجادة الرثاء قال صاحب العمدة : « ابو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء ومثله ديك الجن وهو اشهر في هذا من حبيب وله فيه طريق انفرد بها » .

* * *

وهو بعد شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشابين في شعره كما قال صاحب الاغاني ، ولقد كان في زمانه شاعر الشام الى ان ظهر ابو تمام فلم يذكر معه الا مجازا ، وديك الجن اقدم منه وقد كان ابو تمام أخذ عنه امثلةً من شعره يحتذي عليها فهو استاذه ، وقول صاحب الأغاني انه يذهب مذهب ابي تمام يحمل على اشتهار ابي تمام بذلك المذهب بعد ان غلا فيه . قال عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي : كنت جالساً عند ديك الجن فدخل عليه حدث فانشده شعراً فأخرج ديك الجن من تحت مصلاه درجاً كبيراً فيه كثيراً من شعره فسلمه اليه وقال يافتى تكسب بهذا واستعن به على قولك فلما خرج سألته عنه فقال هذا من اهل جاسم بذكر انه من طيئ يكنى ابا تمام واسمه حبيب ابن أوس وفيه أدب وذكاء وله قريحة وطبع ، وعمر ديك الجن الى ان مات ابو تمام ورثاه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قصر ديك الجن شعره على نفسه وهو الخليع المتهتك فتارة يصف الخمر و يقول :

بها غير معدول فداو خمارها ... وصل بحبالات الغبوق ابتكارها
ونل من عظيم الوزر كل عظيمة ... إذا ذكرت خاف الحفيظان نارها
وقم انت فاحثث كأسها غير صاغر ... ولا تسق الا خمرها وعقارها
فقام نكاد الكأس تحرق كفه ... من الشمس او من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها ... فتأخذ من اقدامنا الراح ثارها
وردة من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده فادارها (١)

وتارة يتغزل بعشيقته ورد فيقول :

أنظر الى شمس القصور وبدرها ... والى خزاماها و بهجة زهرها
لم تبك عينك ابيضاً في اسود ... جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يخبر اسمها ... من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من ارداقها ... عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

ولا ينسى ان يداعب غرانفاً من اهل حمص يقال له بكر بمقطوعات لا نرى روايتها لما بها من المجون ، وانما نروي منها ثلاثة ابيات قالها فيه وقد جلسا يوماً يتحدثان الى ان غاب القمر :

دع البدر فليغرب فانت لنا بدرُ ... اذا ما تجلى من محاسنك الفجرُ
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل ... فطرفك لي سحر ور يقك لي خمر
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى ... لصحت باعلى الصوت يابكر يابكر

(١) روي ان ابا نواس لما اجتاز بحمص قاصداً مصر سمع ديك الجن بوصوله فاستخفى منه خوفاً ان يظهر لابي نواس انه قاصر بالنسبة اليه ، فقصده ابو نواس في داره وهو بها فطرق الباب واستأذن عليه فقالت الجارية ليس هو ههنا ، فعرف مقصده فقال لها قولي له اخرج فقد فتنت اهل العراق بقولك :

مورّدة من كفّ ظبي كأنما ... تناولها من خده فادارها

فلما سمع ديك الجن ذلك خرج اليه واجتمع به واضافه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ملحه في الخلاعة قوله :

لما نظرت اليّ عن حدق المها ... وبسمت عن منفتح النوّار
وعقدت بين قضيب بانٍ اهيفٍ ... وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في الثرى لك ضائعاً ... وعزمت فيك على دخول النار

هكذا كانت حياته فاذا اعسر واستنزفت الخمرة ماله رحل من حمص الى احمد وجعفر الهاشميين في سلمية يستعين بهما على دهره ثم يعود الى شمشمته في حمص . ولما قتل عشيقته رثاها بتراث تصرف بها احسن تصرف كقوله :

اشفقت ان يرد الزمان بغدره ... او أبتلى بعد الوصال بهجره
قمر انا استخرجته من دجنه ... لبليتي وجلوته من خدره
قتلته وله عليّ كرامة ... ملأ الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ ... والحزن يسفح عبرتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره

وقوله : بأبي نبذتك بالعراء المقفر ... وسترت وجهك بالتراب الاعفر
بأبي بذلتك بعد صون للبلى ... ورجعت عنك صبرت أم لم أصبر
لو كنت اقدر أن أرى أثر البلى ... لتركت وجهك ضاحياً لم يقبر

وقوله : أما آن للطيف أن يأتيا ... وأن يطرق الوطن الدانيا
وإني لاحسب ريب الزما ـ ن يتركني جسداً باليا
سأشكر ذاك لا ناسياً ... جميل الصفاء ولا قاليا
وقد كنت أشكره ضاحكاً ... فقد صرت أشكره باكيا

وقوله : جاءت تزور فراشي بعدما قبرت ... فظلت ألثم نحراً زانه الجيدُ
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا ... فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة ... تعبث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرةً ... هذي زيارة من في القبر ملحود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا شعر علم الله يستعبر له السامع . وله قصيدة يرثي بها جعفر بن علي الهاشمي وهي جيدة منها قوله :

فيا قبره جد كل قبرٍ بجوده ... فنيك سماءٌ ثرةٌ وسحائبُ
فانك لو تدري بنافيك من علا ... علوت وباتت في ذراك الكواكب
أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائم ... حذاراً وتعمى مقلتي وهو غائب
فمات ولا صبري على الاجر واقف ... ولا أنا في عمر الى الله راغب
أأسعى لاحظى فيك بالاجر انه ... لسعيٌ اذن مني لدى الله خائب
وما الاثم الا الصبر عنك وانما ... عواقب حمدٍ ان تذم العواقب
يقولون مقدار على المرء واجب ... فقلت وإعوال على المرء واجب
هو القلب لما حمَّ يوم ابن أمه ... وهي جانب منه وأسقم جانب
فوالله اخلاصاً من القول صادقاً ... والا فحبي آل احمد كاذب
لو ان دمي كانت شفاؤك اودمي؟ ... دم القلب حتى يقضب القلب قاضب
لسلمت تسليم الرضا وتخذتها ... يداً للردى ما حج لله راكب
فتى كان مثل السيف من حيث جئته ... لنائبةٍ نابتك فهو مضارب
بكاك أخٌ لم تحوه بقرابةٍ ... بلى ان اخوان الصفاء اقارب
وأظلمت الدنيا التي كنت جارها ... كأنك للدنيا أخٍ ومناسب

فذق هذا الكلام من حيث شئت هل تجد فيه الا حلاوة ، وأعمل فكرك هل تجد الا معنى شريفاً ولفظاً شريفاً وحسن تصرف بهما .

هذه نبذة من شعره في الخمر والغزل والرثاء ولم نقف على شيء في المديح وانما روى له صاحب الاغاني قصيدة يعزّي بها جعفر بن علي سلك بها طريق الجاهليين منها :

نغفل والايام لا تغفل ... ولا لنا من زمنٍ موئلُ
والدهر لا يسلم من صرفه ... أعصم في القنة مستوعل
ولا حباب صلنان السرى ... أرقم لا يعرف ما تجهل
ولا عقنباة السلامى لها ... في كل أفق علق مهمل
فتجتاء في الجو خدارية ... كالغيم والغيم لها مثقل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آمن من كان لصرف الردى أنزلها من جوها منزل

وهي كما ترى عبارة عن رأي بدوي جاف لا يهتدي الى عزاء عن النجائع الا ان الدهر لا يسلم من صرفه الأعصم والأرنة والفتخاء وفي ذلك دليل على ان الشاعر يكبو فيما لا يوافق هواه ، وأنى له — وهو الخليع الماجن — ان يقيم نفسه مقام من يعظ ويخفف المصايب ، لذلك فشعر ديك الجن فيما يوافق هواه جزل منسجم وصنعته اللفظية أخف على النفس من صنعة ابي تمام لانها مع حسنها لا تجد للكلفة اثراً ظاهراً عليها فقد كان مقتصداً فيها ، وتشبيهاته واستعاراته حسنة سائغة كقوله :

لا ومكان الصليب في النحر منـ ـك ومجرى الزنار في الخصر
والخال في الخد اذ أشبهه وردة مسك على ثرى نبر
وحاجب مدّ خطه قلم الحسـ ـن بحبر البهاء لا الحبر
وأقحوان بفيك منتظم على شبيه من رائق الخمر

ومعانيه حسنة لاسيما ما كان في الرثاء فأكثرها شريف نادر .

البحتري

ابو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ينتسب الى بحتر بن عتود وهو بطن من طيئ والبحتري يفتخر بهذا النسب ويقول :

ذهبت طيئ بسابقة المجـ ـد على العالمين بأساً وجودا
نحن أبناء يعرب اعرب النا ـس لسانا وأنضر الناس عودا

ولد بمنبج سنة ست ومائتين وبها نشأ وتخرج وتأدب ويدلّ على ان بيته قديم في منبج قوله :

جدي الذي رفع الأذان بمنبج وأقام فيها قبلة الصلوات
وأبي ابو حيان قائد طيئ للروم تحت لواءه المنصات
ووليّ فتح الجسر اذ أغرى به عمروٌ وفاعل تلكم الفعلات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأول شعر قاله في غلام اسمه شقران اذ انفق للبحتري سفر فخرج فيه فأطال الغيبة ثم عاد وقد اتحى شقران فقال :

نبتت لحية شقرا — ن شقيق الروح بعدي
حلقت كيف أنه قبل ان ينجز وعدي

ولم ينبه ذكره الا بعد اتصاله بابي تمام الطائي وخروجه الى العراق حيث مدح جماعة من الخلفاء اولهم المتوكل وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء ، قال صالح بن الاصبغ النوخي المنبجي : رأيت البحتري عندنا قبل ان يخرج الى العراق يجتاز بنا في الجامع يمدح اصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه .

قال البحتري اول مارأيت ابا تمام اني دخلت على ابي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي :

أأفاق صب من هوى فأفيقا ام خان عهداً ام اطاع شفيقا

فسرّ بها ابو سعيد وقال احسنت والله يافتى واجدت ، قال وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده نكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل عليّ ثم قال يافتى اما تستحيي مني هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتي ، فقال له ابو سعيد احقاً تقول ؟ ، قال نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك وزادفيه ، ثم اندفع وانشد اكثر هذه القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً ، فأقبل عليّ ابو سعيد فقال يافتى قد كان في قرابتك لنا وودك لنا مابغنيك عن هذا ، فجعلت احلف له بكل محرّجة من الايمان ان الشعر لي ما سبقني اليه احد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً ، واطرق ابو سعيد وفظع بي حتى تمنيت اني سخت في الارض فقمت منكسر البال اجرُّ رجليّ فخرجت ، فما هو الا ان بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردوني ، فاقبل عليّ الرجل فقال : الشعر لك يابنيّ والله مافلته قط ولا سمعته الا منك ولكني ظننت انك تهاونت موضعي فاقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي وتكاثرني حتى عرّفني الامير نسبك ومرضعك ولوددت ان لاتلد ابداً طائية الا مثلك ، وجعل ابو سعيد يضحك ودعاني ابو تمام وضمني اليه وعانقني واقبل يقرظني ولزمته بعد ذلك واخذت عنه واقتديت به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وروي عن البحتري انه قال : كان اوّل امري في الشعر ونباهتي اني صرت الى ابي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فاقبل عليّ وترك سائر من حضر فلما انفرقوا قال لي انت اشعر من انشدني ، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة ، فكتب الى اهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق بالشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم ، فصرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظفوا لي اربعة آلاف درهم فكان اول مال اصبته . قال صاحب الاغاني وكانت نسخة كتابه : يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبيد الطائي وهو على بذاذته شاعر فاكرموه .

عظم مقام البحتري بعد ان رحل الى العراق وادناه المتوكل وقد رافقه في سفره الى دمشق قال في ذلك :

قد رحلنا عن العراق وعن قطبها النكد
حبذا العيش في دمشق اذا ليلها برد
سفرٌ جددت لنا اللهو ايامه الجدد
عزم الله للخليفة فيه على الرشد

واتصل ايضاً بالفتح بن خاقان وزير المتوكل ومدح بعد المتوكل جماعة من الخلفاء منهم المنتصر والمستعين والمهتدي والمعتز وكثيراً من الوزراء والرؤساء وفاض كسبه من الشعر حتى كان يركب في موكب من عبيده وفي نباهة ذكره يقول :

ان أبق او اهلك فقد نلت التي ملأت صدور اقاربي وعداتي
وغنيت ندمان الخلائف نابهاً ذكري وناعمةً بهم نشواتي
وشفعت في الامر الجليل اليهم بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رفد طلاّب وفك عناة

عاد الى الشام في آخر عمره وتوفي بمنبج بداء السكتة سنة اربع وثمانين ومائتين وترك ثروة طائلة ظلت في اولاده مدة طويلة وربما كانت من الاسباب التي جعلتهم من الرؤساء ، فمن احفاده ابو عبادة بن يحيى بن الوليد واخوه عبيد الله كانا رئيسين في زمانهما ومدحهما المتنبي ، وذكر ياقوت في معجم البلدان ان للبحتري في منبج املاكاً وذكر في المشترك ايضاً ان قرية على باب منبج ذات بساتين هي وقف على ولده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان البحتري يطمح لجمع المال ولا يرضى بالقعود على النافقة وفي ذلك يقول :

ليس الزمان بمعتبي فذر بني ... ارمي تجهم خطبه بجبيني
وخد القلاص يردني لك بالغنى ... في بعض ذا التطواف او يردي
والرزق للبقظ المشيع رأيه ... بالعزم لا للعاجز المأفون

ويقول ايضاً واحب آفاق البلاد الى الفتى ... ارض ينال بها كريم المطلب
ومثله قوله : رأيت القعود على الاقتصاد ... قنوعاً به ذلةً سيف العباد
وعز بذي ادب ان يضيق ... بعيشته وسع هذي البلاد
اذا ما الاديب ارتضى بالخمول ... فما الحظ في الادب المستفاد

وكان لا يقنع بالقليل من المال وفي ذلك يقول لاحد ممدوحيه :

لا تقلل اذا هممت بجدوى ... ان شر الاعداد عندي القليل

ولقد رأيت ان اول ما اشتكى الى ابي تمام الخلة وذلك دليل على كرهه للفقر وحبه للمال ، ولقد ساقه حب المال الى البخل بل الشح بكل شيء ولازمه هذا الخلق طول عمره بالرغم من غناه واثرائه ، وله في جمع المال والضن به نوادر غريبة ، منها انه كان له غلام رومي اسمه نسيم قد جعله بابا من ابواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد ان يصيره الى ملك بعض اهل المروآت ومن ينفق عنده الادب فاذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له كقوله من قصيدة :

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد ... اظن نسيماً قارف الهم من بعدي
خلا ناظري من طيفه بعد شخصه ... فيا عجباً للدهر فقد على فقد

فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفي الناس امره .

ومما يروى عنه في البخل أنه كان له اخ وغلام معه في داره فكان يضنيهما جوعاً فاذا بلغ منهما الجوع اتياه يبكيان فيرمي اليهما بثمن اقواتهما ويقول : كلا اجاع الله اكبادكما واعرى اجلادكما وأطال اجتهادكما .

وقال أحدهم : دخلت على البحتري يوماً فاحتبسني عنده ودعا بطعام له ودعاني فامتنعت من أكله وكان عنده شيخ شامي لا اعرفه فدعاه الى الطعام فتقدم وأكل بعنف فغاظه ذلك ، ثم إنه التفت اليّ وقال لي اتعرف هذا الشيخ قلت لا قال هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة حُصُّ اللحى متشابهو الالوان
لو يسمعون باُكلة او شربة بعمان اصبح جمعهم بعمان

قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ولم يسلم البحتري من مجاراة ميوله وأهوائه شأن اكثر الشعراء فقد كان يعاقر الخمرة ويميل الى الدعابة وتميل به الصبوة .

روي انه استهدى محمد بن علي القمي نبيذاً فبعث اليه نبيذاً مع غلام له امرد فجسه البحتري ففضب الغلام غضباً شديداً دلّ البحتري على انه سيخبر مولاه بما جرى فكتب اليه :

ابا جعفر كان تجميشنا غلامك إحدى الهنات الدنية
بعثت الينا بشمس المدام تضيء لنا مع شمس البرية
فليت الهدية كان الرسول وليت الرسول الينا الهدية

فبعث اليه محمد بن علي الغلام هدية .

ولقد احب علوة بنت زرعة الحلبية واكثر من التشبيب بها

كقوله : هل دين علوة يستطاع فيقتضى او ظلم علوة يستفيق فيقصر
وقوله : عرّج على حلب فحي محلةً مأنوسة فيها لعلوة منزلُ
وقوله : نأت دار علوة بعد قربٍ فهل ركبٌ يبلغها السلاما
وقوله : وما انس لا انس عهد الشبا — ب وعلوة اذ عيرتني الكبر
وقوله : عهدٌ لعلوة باللوى قد اشكلا ما كان احسن مبتداه واجملا
وقوله : أرى خلقاً حبي لعلوة دائماً اذا لم يدم بالعاشقين التخلقُ
وقوله : فاقلاً في علوة اللوم إني زائد في الغرام ان لم تقلا
وقوله : أحبب الينا بدار علوة من بطياس والمشرفات من اكمه
وقوله : اتخشى زيال علوة او هجـ ـرانها والحب خاش جنانه
وقوله : لعلوة في هذا الفؤاد محلة تجافتُ عن سعدى بها وسعادِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله : طيف لعلوة ما ينفك يأتيني يصبو إليّ على بعد و يصبيني
وقوله : وقد وردت اهواؤهن فؤاده ولا حبّ الا حب علوة فارطه

وكان في اخلاقه الحنين الى وطنه والمحافظة على وداد احبابه فقد اكثر من ذكر ربوع صباه وصبوته والتشوق اليها .

كقوله : وقد حاولت ان تجد المطايا الى حيّ على حلب حلول

وقوله :

كم نظرة لي حيال الشام لو وصلت روت غليل فؤاد منك ملتاح
وقوله : حنت ركابي بالعراق وشانها في ناجر برد الشآم ورنقه
وقوله : ولي بين القصور الى قوبق أليف أصطفيه و يصطفيني

وقوله :

أشيم سحاب الغرب مل ركن دوشن او المنكفا من بانقوسا مهابطه

وقوله :

يابرق اسفر عن قوبق فطارتي حلب فاعلى القصر من بطياس
وقوله : ياليلتي بالقصر من بطياس ومعرّسي بالقصر بل اعراسي
وقوله : شاقني بالعراق برقٌ كليلُ ودعاني للشام شوقٌ دخيلُ

وقوله :

واشترائي العراق خطة غبن بعد بيعي الشآم بيعة وكس

كما اكثر من ذكر المتوكل والفتح بن خاقان والتوجع عليهما بعد قتلهما ولم يمنعه من ذلك صولة الخليفة المنتصر الذي كان له يد في قتلهما .

قال يرثي المتوكل و يعرّض بابنه المنتصر الذي قتله :

حرام عليّ الراح بعدك او أرى دمًا بدمه يجري على الارض مأثرُه
وهل أرتجي ان يطلب الدم واترٌ يدَ الدهر والموتور بالدم واتره
أكان وليُّ العهد أضمر غدره فمن عجب ان وُليَ العهد غادره

وكان يقول : من تمام الوفاء ان تفضل المراثي المدائح .

ومن غريب ما يروى عنه انه كان من اوسخ خلق الله ثوباً وآلةً ، ومن اقبح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الناس إنشاداً يتشادق و يتزاور في مشيته مرة جانباً ومرة القهقرى و يهز رأسه مرة ومنكبه أخرى و يشير بكمه و يقف عند كل بيت و يقول : احسنت والله ثم يقبل على المستمعين و يقول مالكم لاتقولون احسنت ، هذا والله مما لايحسن احد ان يقول مثله .

وديوان شعره جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على حروف المعجم وكان لعهده لم يزل غير مرتب ، وجمعه ايضاً علي بن حمزه الاصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الانواع وقد شرح ديوانه ابو العلاء المعري وسماه عبث الوليد ، وشرحه ايضاً محمد بن اسحق الزوزني المتوفى سنة (٤٦٣) قال ياقوت الرومي : انه شرح ملئ علما وحشى فهما ، ولعلي بن حمزة البيهقي المتوفى سنة (٥٦٥) شرح شعر البحتري وابي تمام ، وللحسن بن بشر الآمدي كتاب معاني شعر البحتري .

وللبحتري غير ديوان شعره كتاب سماه الحماسة على مثال حماسة ابي تمام الطائي وهو كتاب جليل جمع فيه طائفة كبيرة مما اختاره من الشعر ورتبه ترتيباً حسناً ، وله ايضاً كتاب معاني الشعر .

ومن الكتب التي أُلفت في البحتري : كتاب الموازنة بينه و بين ابي تمام الطائي للآمدي ، وكتاب سرقات البحتري من ابي تمام لاحمد بن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) ، وكتاب سرقات البحتري من ابي تمام لبشر بن يحيى النصيبي .

هذا ما أردنا روايته من اخبار البحتري وآثاره وقد آن لنا بعد ذلك ان نتكلم عن شعره .

* * *

لااعلم اذا كان في شعراء العرب من هو اطبع على قول الشعر من البحتري ، فهو الشاعر حقاً بحسه وخواجله ووجداناته واسلوبه والفاظه وتراكيبه وقوافيه ، سئل ابو العلاء المعري : من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البحتري ام المتنبي ؟ فقال : ابو تمام والمتنبي حكيمان ، واما الشاعر البحتري ، و يروى هذا القول عن المتنبي نفسه .

لاندعي ان له صنعة ابي تمام ولا معاني ابن الرومي ولا امثال المتنبي ولا تشبيهات ابن المعتز ولا فلسفة المعري ، كلا بل هو نفسه لايدعي ذلك بعد ان قال :

كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يلغى عن صدقه كذبه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يكن ذوالقروح يلهج بالمـ ـنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليست بالهذر طولت خطبه

فانظر كيف يرى ان الشعر لمح للاشياء ببصر نافذ ، واشارة عنها ببيان بالغ ، لانقديم المقدمات ، واستنتاج النتائج ، وتأصيل الاصول ، وتفريع الفروع ، فقد يكون الشاعر شاعراً وهو غير حكيم او فيلسوف .

يقولون ان البحتري لم يأت بمعان مخترعة ولا بأساليب مبتكرة ، وكأن الشعر لايكون الا بذلك ، ولقد جل خطبه ان لم يكن الا كذلك ، معان مخترعة وأساليب مبتكرة ، امعن ايها الشاعر بها ولو اتيت بما لايتصوره انسان ولا تفهمه عنك الجان .

ليس البحتري في شيء من هذا وانما ينظر الى الاشياء بنظر الشاعر و يتأثر بها تأثر الشاعر ثم يترجم عنها ترجمة الشاعر ولا يحمل نفسه على ابراز معانيه كألاعيب الصبيان الممسوخة المموّهة بشتى الالوان من بعد في الاستعارة واغراب في التشبيه واغراق في البديع واحالة في المعنى كي يقال معان مخترعة واساليب مبتكرة .

ان كان الشعر بنفوذ النظر وقوة الملاحظة وتوقد الفكرة وصدق الحس وروعة البيان فالبحتري هو الشاعر حقاً .

خذ اي قصيدة شئت من قصائده في الوصف وانظر كيف يصور لك المشاهد صورة ناطقة ، يصور لك المـاء ويسمعك خريره ، والطير ويسمعك هديله ، والشجر و يريك تمايل اغصانه ، والقصور بما فيها من مرأى ومسمع ، والاطلال وعزيف الارواح بها ، وموكب الخليفة وما به من حركة وسكون وروعة وجلالة ، واذا اتى على وصف الطيف وكثيراً مايأتي مثّل لك حلو الاحلام واحاسن المنى بالفاظ عذبة رشيقة .

وماذا عساني ان آتي بدليـل على ما اقول وديوان شعره اشهر من ان ينوه به او يدل عليه ، فاقرأ اذا شئت قصائده في وصف ايوان كسرى ، والبركة وخروج المتوكل يوم عيد الفطر ، ووصف قصور الخلفاء كالجعفري والفرد والصبيح والمليح والكامل ، ووصف الاسد والذئب والفرس .

قال ابن المعتز : لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى — فليس للعرب سينية مثلها — وقصيدته في وصف البركة ، لكان اشعر الناس في زمانه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واليك بعض ابيات من تلك القصيدة في الايوان :

وهو ينبيك عن عجائب قوم لايشاب البيان فيهم بلبس
فاذا مارأيت صورة انطا ـ كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وانوشر ـ وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اصـ ـفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جدّ احيا ـ ء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس

ومنها :

عكست حظه الليالي وبات الـ ـمشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسي
لم يعبه ان يزّ من بسط الديـ باج واستل من ستور الدمقس
مشمخرٌّ تعلو له شرفاتٌ رفعت في رؤوس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبـ ـصر منها الا فلائل برس
ليس يدري اصنع إنس لجنٍ سكنوه أم صنع جن لانس
غير اني اراه يشهد ان لم يك بانيه في الملوك بنكس
فكأني ارى المراتب والقو ـم اذا ما بلغت آخر حسي
وكأن الوفود ضاحين حسري من وقوف خلف الزحام وخنس
وكأن القيان وسط المقاصيـ ـر يرجعن بين حوٍّ ولمس
وكأن اللقاء اول من امـ ـس ووشك الفراق اول امس
عُمرت للسرور دهراً فصارت للتعزي رباعهم والتأسي
فلها ان أعينها بدموع موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري بافتراب منها ولا الجنس جنسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً ... من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النوروز في غلس الدجى ... اوائل ورد كنَّ بالامس نوَّما
يفتقها برد الندى فكأنه ... يبثُّ حديثاً كان قبل مكتما
ومن شجر كان الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشياً منمنما
احلَّ فابدى للعيون بشاشةً ... وكان قذىً للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجيءُ بانفاس الاحبة نُعَّما
فما يحبس الراح التي انت خلها ... وما يمنع الاوتار ان تترنما

أما نسيبه فنسيب عاشق غزل يعرف كيف يبعث الرحمة والعطف في قلب حبيبه حينما يصف ما يكابده من التشوق بطريقة تشجي السامع وتثير به نشوة الطرب وتترجم عن قلب كل محب كقوله :

عذيري فيك من لاحٍ اذا ما ... شكوت الحب حرقني ملاما
فلا وأبيك ما ضيعت حلماً ... ولا فارقت في حبك ذاما
ألام على هواكِ وليس عدلاً ... اذا أحببتُ مثلك ان أُلاما
لقد حرّمت من وصلي حلالاً ... وقد حللت من هجري حراما
أعيدي فيَّ نظرة مستثيب ... توخى الاجر او كره الاثاما
ترى كبداً محرقة وعينا ... مؤرقة وقلباً مستهاما
تناءت دار علوة بعد قربٍ ... فهل ركبٌ يبلغها السلاما
وجدد طيفها عتباً علينا ... فما يعتادنا الا لماما

وربت ليلة قد بتُّ أسقى ... بعينيها وكفيها المداما
قطعنا الليل لثماً واعتناقاً ... وافنيناه ضماً والتزاما
وقد علمت باني لم اضيع ... لها عهداً ولم اخفر ذماما
لئن اضحت محلتنا عراقا ... مشرقة وحلتها شآما
فلم أُحدث لها الا وداداً ... ولم ازدد بها إلا غراما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله :

أعيذك ان تثنى بشكوى صبابةٍ وإن اكسبتنا منك عطفاً على الصبّ
ويحزنني ان تعرفي الحب بالجوى ولو نفعتنا منكِ معرفة الحب

وله في ذكر الطيف الجيد البارع كقوله :

يعزّ على الواشين — لو يعلمونها — ليالٍ لنا نزدار فيها ونلتقي
فكم غلةٍ للشوق اطفأت حرها بطيفٍ متى يطرق دجى الليل يطرق
اضمّ عليه جفن عيني تعلقاً به عند اجلاء النعاس المرنق

وقوله :

اذا ما الكرى اهدى اليّ خياله شفى قربه التبريح او نقع الصدى
إذا انتزعته من يديّ انتباهةٌ عددت حبيباً راح مني او غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذّب ايقاظاً وننعم هجّدا

ومن شعره الجيد البالغ قوله :

وفرسان هيجاء تجيش صدورها باحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وتر اعز نفوسها عليها بأيدٍ ما تكاد تطيعها
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم شواجر ارحام تلوم قطوعها

وله من السهل المطمع كثير كقوله :

أيها العاتب الذي ليس يرضى ثم هنيئاً فلست اطمع غمضا
ان لي من هواك وجداً قداستهـ ـلك نومي ومضجعاً قد اقضّا
فجنوني في عبرةٍ ليس ترقا وفؤادي في لوعة ما تقضى
يا قليل الإنصاف كم أقتضي عنـ ـدك وعداً انجازه ليس يقضى
فاجزني بالوصل ان كان اجراً واثبني بالحب ان كان قرضا
بأبي شادنٌ تعلق قلبي بجفون فواتر اللحظ مرضى
غرّني حبه فاصبحت أبدي منه بعضاً واكتم الناس بعضا
لست انساه بادياً من قريبٍ يتثنى تثني الغصن غضّا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واعتذاري اليه حتى تجافى لي عن بعض ما اتيت واغضى
واعتلاقي نفاح خديه تقبيـ ـلاً ولثماً طوراً وشماً وعضا

وطريقته في شعره طريقة المطبوعين لا يعتني كثيراً بالابتداآت ولا يلتفت الى التخلص . فقد ترى في قصائده مطلعاً غير بالغ في الجودة اتى به عفواً وكما تماديت في قراءة القصيدة وجدت الكلام يجود ، وبينا تراه ينسب بعلوة اذا هو يثب الى الغرض الذي قصد له القصيدة من مدح او وصف او فخر وثباً واقتضاباً كقوله :

اني وان جانبت بعض بطالتي وتوهم الواشون اني مقصر
ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقني ورد الخدود الاحمر
الله مكّن للخليفة جعفر ملكاً يحسنه الخليفة جعفر

وكذلك اكثر شعره وقلما تجد به ما يسمونه التخلص .

وأسلوبه عربي خالص على تنوع الاغراض التي قصدها في شعره ، والفاظه متزاوجة : الكلمة واختها مع الجزالة والعذوبة كقوله :

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت فينعم رياها ويصفو نسيمها

وقوله : ضاق صدري بما أُجـ ـنّ وقلبي بما اجد

وقوله : لقد اصطفى رب السما ـ ء له الخلائق والشيم

وهو مع طبعه الفائق تجد في شعره رائحة الصنعة التي أخذها عن ابي تمام كقوله وفيه التجنيس :

صدق الغراب لقد رأيت حمولهم بالأمس تغرب عن جوانب غُرَّب

وقوله وفيه المطابقة :

ان ايامه من البيض بيضٌ ما رأين المفارق السود سودا

وقوله وفيه التوشيح :

فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام

وقوله وفيه المؤتلف والمختلف :

بحلٍّ وعقدٍ وجزمٍ وفصلٍ ونبلٍ وبذلٍ وبأسٍ وجودِ

الى غير ذلك من الانواع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان يلقي من كل قصيدة جميع مايرتات به تخرج شعره مهذباً ، قال عبد القاهر الجرجاني : « انك لاتكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب ورد البعيد الغريب الى المألوف القريب ، مايعطي البحتري ويبلغ في هذا مبلغه ، فانه ليروض لك المهر الأرن رياضة الماهر حتى يعنق من تحتك اعنـاق القارح المذلل ، وينزع من شماس الصعب الجامح حتى يلين لك لين المنقاد المطيع » .

واذا أردت ان تعلم مبلغ شاعرية البحتري فاعمد الى نثر شعره تجد انك لاتحتاج الى التقديم والتأخير والنقص والزيادة كقوله :

نطلب الاكثر في الدنيا وقد نبلغ الحاجة فيها بالاقل

وقوله : اطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها فما الغافل المغرور فيها بعاقل

يرجي الخلود معشر ضلّ سعيهم ودون الذي يبغون غول الغوائل

اذا ما حريز القوم بات وماله من الله واق فهو بادي المقاتل

فاذا ما نثرت ذلك لم تزد في الفاظه شيئاً .

وهو مع حسن تصرفه في ضروب الشعر كان مقصراً في الهجاء ، وذكروا ان السبب في قلة بضاعته في هذا الفن انه لما حضره الموت دعا بابنه ابي الغوث وقال له : اجمع كل شيء قلته في الهجاء فجمع فأمره باحراقه ثم قال له : يابني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي وكافئت به قبيحاً فعل بي وقد انقضى ارب في ذلك وان بقي روي وللناس اعقاب يورثونهم العداوة والمودة واخشى ان يعود عليك من هذا شيء في نفسك او معاشك لافائدة لك ولا لي فيه .

وقد بقي من هجائه قصائد وأبيات لاتشاكل طبعه ولا تليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة الفاظها كما قال صاحب الاغاني ، وما يعرف له هجاء جيـد إلا قصيدتين احداهما في ابن ابي قماش والثانية في يعقوب بن ابي الفرج .

وممن أغرى بهجاء البحتري ابن الرومي فقد قال فيه :

والفتى البحتري يسرق مافا ـ ـ ل ابن أوس في المدح والتشبيب

كل بيت له يجود معناه ـ فمعناه لابن أوس حبيب

وقال ايضاً :

فيحاً لاشياء يأتي البحتري بها من شعره الغث بعد الكد والتعب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد يجيء بخلط فالنحاس له ... والملاوائل مافيه من الذهب
ما ان تزال تراه لابساً حللاً ... اسلاب قوم مضوا في سالف الحقب
يعيب شعري وما زالت بصيرته ... عمياء عن كل نور ساطع اللهب
الحظ اعمى ولولا ذاك لم تره ... للبحتري بلا عقل ولا حسب

قال صاحب العمدة : وهجا ابن الرومي البحتري — وابن الرومي من علت — فاهدى اليه تحت متاع وكيس دراهم وكتب اليه لبر به ان الهدية ليست نقية منه ولكن رقة عليه وانه لم يحمله على ما فعل الا النقر والحسد المفرط :

شاعر لا اهابه ... نبحتني كلابه
ان من لا أعزه ... لعزيز جوابه

وهجاه ابو العنبس الصيمري بحضرة المتوكل بقصيدة بذيئة الالفاظ سخيفة عارض بها قصيدة البحتري التي يمدح بها المتوكل والتي اولها :

عن اي ثغر تبتسم ... وباي طرف تحتكم

فغضب البحتري وخرج وقال لبعض اصحابه قد ضاع العلم وهلك الأدب ، واراد ان يعود الى منبج بغير اذن لولا ان استبقاه الفتح بن خاقان ، ولكنه لم يجب ابا العنبس الصيمري اطراحاً واحتقاراً له .

* * *

اما اخذه بعض معاني ابي تمام فذلك ما لا يمكن دفعه ولولاه لما نعي عليه في شعره عيب واعتذر عنه الآمدي بقوله : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء وخاصة المتأخرين اذ كان هذا باباً ما نعرى منه متقدم ولا متأخر » .

واستقصاء ما اخذه من ابي تمام لا يمكن في هذا البحث فلنذكر قليلاً منه :

قال ابو تمام :

تكاد معانيه تهش عراصها ... فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحتري :

ولو ان مشتاقاً تكلف غير ما ... في وسعه لمشى اليك المنبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابو تمام :

مازال وسواسي لعقلي خادعاً حتى رجا مطراً وليس سحابُ

فقال البحتري :

وتجيبُ ان الغيوم يرجيهنّ من لا يرى مكان الغيوم

وقال ابو تمام :

وقد تألف العين الدجى وهو قيدها ويرجى شفاء السم والسم قاتلُ

فقال البحتري :

ويحسن داؤها والموت فيه وقد يستحسن السيف الصقيلُ

ومثل هذا كثير ومهما التمس اصحاب البحتري المعاذير له من ذلك كقولهم : « ان ما أخذه من ابي تمام يشترك الناس فيه وتجري طباع الشعراء عليه ولم يعتمد اخذه وانما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده » فانه غير بريء من هذه الزلة ، وهي وان عمّت بها البلوى بين الشعراء قديمهم وحديثهم فنصيب البحتري منها اكثر وسهمه اوفر . هذا المتنبي على جلالة قدره لم تكتب له العصمة منها فانه استعار معاني كثير من الشعراء واليك بعض ما عدا به على سرح شعر البحتري :

قال المتنبي : في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرون بالآذان

أخذه من قول البحتري :

ومقدم الأذنين يحسب انه بها رأى الشخص الذي لا يأمن

وقال المتنبي : حتى رجعت واقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به فانما نحن للاسياف كالخدم

اخذه من قول البحتري :

تعنو له وزراء الملك خاضعة وعادة السيف ان يستخدم الخدما

وقال المتنبي :

وما شئت الا ان ادل عواذلي على ان رأيي في هواك صواب

واعلم قوماً خالفوني وشرقوا وغرّبت اني قد ظفرت وخابوا

اخذه من قول البحتري :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واشهد اني في اختيارك دونهم مؤدياً الى حظي ومتبعٌ رشدي

* * *

وقد بقي ان نعرض للمفاضلة بين ابي تمام و بين البحتري وخلاصة مايحتج به اصحاب ابي تمام :انه انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اماماً متبوعاً حتى قيل هذا مذهب ابي تمام ، وانه كان مشهوداً له بالعلم والشعر والرواية وان العلم في شعره اظهر ، وانه اتى في شعره بمعانٍ فلسفية ، وان احسانه انتشر في الآفاق وسارت به الركبان وتمثل به المتمثل وتأدب بحفظه وانشاده المتأدب ، وانه لايدفع عن لطيف المعاني ودقيقها والابداع والاغراب والاستنباط لها ، وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتنويع الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة .

وخلاصة مايحتج به اصحاب البحتري : ان شعره شديد الاستواء وانه لايسقط ولا يسفسف ، وانه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة مع مافي شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة التي يفخر بها اصحاب ابي تمام ، وانه انفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعاني ، وكان يتعمد حذف الغريب والوحشي من شعره ليقربه من الفهم الا ان يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها ، وان معانيه مع جودة نظمه واستواء نسجه تصح بالنقد وتخلص على السبك ، وان ما اخذه من معاني ابي تمام هي معانٍ مشتركة لايختص بها شاعر دون آخر ، والبارع من معانيه والناخر من كلامه ليس فيه على كثرته حرف واحد مما اخذه من ابي تمام .

وخلاصة القول انك ان كنت ممن يميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لامحالة .

وان كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق وقرب المأتي وانكشاف المعاني فالبحتري اشعر عندك ضرورة .

والذي نراه انهما مختلفان لامتساويان ، شعر ابي تمام مصنوع وشعر البحتري مطبوع ، والمفاضلة بينهما كالمفاضلة بين من يجهد الضرب على العود وبين من خلقه الله حسن الصوت ، ولقد انتهت الرئاسة اليهما ، وهما هما ، سقى الله عهدهما .

خليل مردم بك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net